النوروز الطبيعة والجمال الإلهي في الأدب العربي

في القديم كان الشعراء العرب يذكرون نوروز في أشعارهم لمجرد أمر الخراج وما يأمر به الأمراء والخلفاء لكن شيئا فشيئا تغيّر مفهوم نوروز في الشعر العربي وأخذ نكهة الجمال والطبيعة وراح ينظر إليه كعيد شجرة وحياة وطلعة بهية.

وقد ظهرت طقوس نوروز كثيرا في العهد الأموي والعباسي وازداد ذكره في الشعر العربي الحديث. وراح الشعراء يتخذون نوروز حجة ليعربوا عن خلجات قلوبهم المفعمة بالمشاعر وعن حالاتهم الصوفية والعرفانية مستلهمين من جمال الطبيعة حالات التقشف التي من خلالها يقفون قبالة محراب العشق الربّاني، فيتلون آيات الحب لأنّ نوروز هو لقاء الأحبة والعشاق.

النوروز: حُلوُ الشباب من الدنيا اوائله

بدء الربيع من الأيام نوروز .

كـما اقـترن اسـم النـوروز بالربيـع في التاريـخ عنـد الشـعوب التـى تحتفـل بذاكـرة في أدبيـات الشـعراء العـرب ومنهـم الشـاعر الوليـد البحـتري فقـد أعجـب بالطبيعـة الباسـمة فقـال:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا

من الحُسن حتى كاد أن يتكلّما

وقد نبه النوروز في غسق الدجى

أوائل ورد كُن بالأمس نوما

يُفتقها برد الندى فكأنه

يبُث حديثا كان قبلُ مُكتما

ومن شجر ردّ الربيع لباسه

عليه كما نشرت وشياً منمنما

أحلّ فأبدى للعيون بشاشة

وكان قذى في العين او كان مُجرما

ورق نسيم الريح حتى حسبته

يجيء بانفاس الاحبة نُعما

مما يحبسُ الراح التى انت خلّها

وما يمنع الاوتار ان تترنما

فالشاعر يقرن النوروز بالربيع وبالورد والجمال والفرح والأنس.

وقـد عـرف العـرب النـوروز لمجاورتهـم الفرس منذ زمـن بعيد ولـه في أدبياتهم طرائف وأشـعار ودعـاء مثـل الدعـاء المأثـور «يامقلـب القلوب والإبصـار يا مُدبر الليـل والنهار، يا محـوّل الحول والأحـوال، حـولّ حالنـا إلى أحسـن حـال، ومـن طرائـف مـا يروى حـول هـذا الدعاء مـا رواه لنا اسـتأذنا الشـيخ مـوسى السـوداني رحمـه اللـه: «إن احـد تلاميذ الحـوزة العلمية سـمعه أصحابه يقـول: اللهـم غيـرّ حـالي إلى حـال. فتعجبـوا مـن قولـه فقـال: أنـا أعيـش في أتعـس حـال فـأي تغييـر هـو خيـر لي مـن حـالي ألان وروى ابن النديـم في الفهرسـت وكذلك البخاري في الأنسـاب والتاريـخ الكبيـر إن الثابـت بـن النعـمان بـن مرزبـان والـد أبـو حنيفـة النعـمان قـدم حلـوي الفالـوذج إلى الإمـام عـلي بـن أبـى طالب فسـأل الإمـام علي (عليه السـلام). مـا المناسـبة فقالوا لـه (اليـوم نيـروز) فقـال (اصنعـوا كل يـوم نيـروز) وفي روايـة أخـرى قـال (نيروزونـا إن قدرتـم كل يـوم) ويـروى عـن الإمـام جعفـر الصـادق انـه (إذا كان يوم النيـروز فاغتسـل والبس أنظف ثيابـك، وتطيـب بأطيـب طيبـك، وكـن صائمـا ذلـك اليـوم). وروايـة أخـرى انـه قـدم إلى أميـر المؤمنيـن (عليـه السـلام). حلـوى في يـوم النـوروز في الكوفـة مـن قبل رجـل فارسي فقـال الإمام عـلي«ع»: مـا هـذا؟ قال: هذه حلوى النـوروز، فقال الإمـام«ع»: نوروزنا كل يـوم. وقبل الهدية. وعـن أسـاس الاحتفـال بالنـوروز وجعلـه عيـدا هنالك عـدة أراء منها مـا تذكره احـدى الأدبيات إن احـد ملـوك الفـرس القدمـاء أراد أن يعمـل لشـعبه خيرات تنفعهـم وتكون أفراحا في سـبعة أيـام فأشـار عليـه مستشـاره أن يشـمل الفقـراء بعطائـه والمسـاجين بالعفو فـكان يعمل في كل يـوم مـن الأيـام السـبعة عمـلا فيه فـرح للرعية فصـارت تلـك الأيام عـادة، وإذا تكـررت العادة

صارت عرفا من العسير تركه، وكما يقول المثل: العادات قاهرات، وقد سرت الاحتفالات بالنوروز في الأوطان القريبة من بلاد فارس وحيث امتد سلطان الفرس في التأريخ فأخذت الشعوب المجاورة كالترك والكرد والأفغان، والطاجيك وبعض بلاد الهند وباكستان وبعض بلاد العرب كالعراق وغيرها حتى وصل الاحتفال بالنوروز إلى الأندلس حيث يحتفل الأسبان في هذا العصر بيوم النوروز الذى يصادف الواحد والعشرين من شهر آذار الإفرنجى أى الشهر الثالث بالحساب الإفرنجي الميلادى. ولعل تلك العادة انتقلت مع الفاتحين المسلمين وبتأثير أدباء وفنانين ذوى أصل فارسى مثل ابن حزم وزرياب وغيرهم، أو كما يقول المثل الأوروبي: تنتشر الحضارة كما ينتشر الدخان في الفضاء.

وفي العراق كان الاحتفال بيوم النوروز زمن حكم البويهيين - وهم من ألديلم الإيرانيين - في أوجه حيث كانت تشعل النيران ليلا ابتهاجاً بذلك اليوم وتصنع الحلوى وتضاء الأسواق، وللشاعر أبى الحسن محمد بن عبد الله ألسلامي قصيدة يذكر فيها تلك النار التى كانت تشعل في زمانه ويستأنس بها ويتمنى لو يلقى فيها بأنفس أعضائه ليكون حطبا حين خبا لهبها لتستعر من جديد ويستأنس بها مع الناس إذ قال:

لا زلت اشتاق نارا أوقدت لهباً
حتى ظننت عذاب النار قد عذُبا
يعلو الدخان بسود من ذوائبها
قد عط فيها قناعُ التبر واستُلبا
قد كُلّلت عنبراً بالمسك ممتزجاً
وطُوقت جُلُناراً واكتست ذهبا
فالنور يلعب في أطرافها مرحا
والجمرُ يرعد في أكنافها رهبا
وطار عنها شرارُ لو جرى معهُ
برق دنا أو تلقى كوكباً لكبا
لو كان وقت نثار خلّته دُرراً
أو كان وقت انتصار خلُته شُهبا
والليل عُريانُ فيه من ملابسه
نشوانُ قد شَقّ أثواب الدجى طربا
أقسمت بالطرف لو أشرفت حين خبث
جعلت أنفس أعضائى لها حطبا.

يسمى العراقيون العرب في جنوب العراق يوم النوروز «الدخول» أى دخول سنة جديدة بدايتها الربيع - حسب التقويم الفارسي - ويحتفلون بالنوروز بتزيين البيوت وعمل الخبز المحلي والحلوى الصفراء «زرده» ولبس ملابس جديدة والخروج من المدن والقرى إلى شواطئ الأنهار ويزورون قبور الأئمة والسادات ويقوم أهل الريف بسباقات الخيل وممارسة الأهازيج التي يسمونها «الهوسات» مفردها «هوسة» في الفضاء قرب قبور السادات في الريف.

وفي المجال الرسمى فإن الدول العربية مثل العراق والأردن تسمي النوروز ب«عيد الشجرة» حيث هو مناسبة لغرس الأشجار واذكر صورة للملك فيصل الثاني ملك العراق وهو يغرس شجرة بتلك المناسبة.

وفي مصر فللربيع عيد يسمونه «عيد شم النسيم» في الأسبوع الأول من شهر نيسان ولعله يصادف يوم الطبيعة في إيران اليوم الثالث عشر من ابتداء النوروز.

أما عند الأكراد في كردستان العراق فان النوروز عندهم هو ذكرى ثورة قائدها «كاوه الحداد» الكردي على الملك «اجدهاك» الضحاك، ويقوم الأكراد بإشعال النيران في رؤوس التلال والجبال وهي رمز لعمل قام به «كاوه الحداد» إشارة لإتباعه بانطلاق الثورة - حسب الأدبيات الكردية الشعبية.

وللشاعر العراقي بدر شاكر السيّاب قصيدة بهذا المعنى أى أن النوروز هو ثورة الفقراء الكادحين على الظلم الذى كانوا يعانون منه ويذكر بالظلم الواقع على الفقراء العرب والكرد في العراق إذ قال:

قد عرف العرب النوروز لمجاورتهم الفرس منذ زمن بعيد وله في أدبياتهم طرائف وأشعار ودعاء مثل الدعاء المأثور «يامقلب القلوب والإبصار يا مُدبر الليل والنهار، يا محوّل الحول والأحوال، حوّل حالنا إلى أحسن حال

يا شعب كاوه سل الحداد كيف هوى
صرح على الساعد المفتول ينهارُ
وكيف اهوت على الطاغى يدُ نفضت
عنها الغبار وكيف انقض ثوار
والجاعل الكير يوم الهول مشعله
ينصب منه على الافاق انوارُ
«شيرين» يا جبلّ الاحرار ما غفلت
عن حقها الضائع المسلوب احرار
«كاوه» ك«يعرب» مظلوم يمد يداً
الى اخيه فما ان يهدر الثار
والمستغلان في سهل وفي
جبل يدميهما بالسياط الحمر غدار
سالت دماؤهما في الوسط وامتزجت
فلن يفرقها بالدس اشرار
واغمد الغدر في الصدرين مخلبه
فجمعت بالدم الجرجين اظفار
وقرّب القيد من شعبين شدّهما
ووجهت من خطى الشعبين افكار
ووحّد الجوع عزم الجائعين على
أن يقودهما الاّ تخمد النارُ نوروز.»

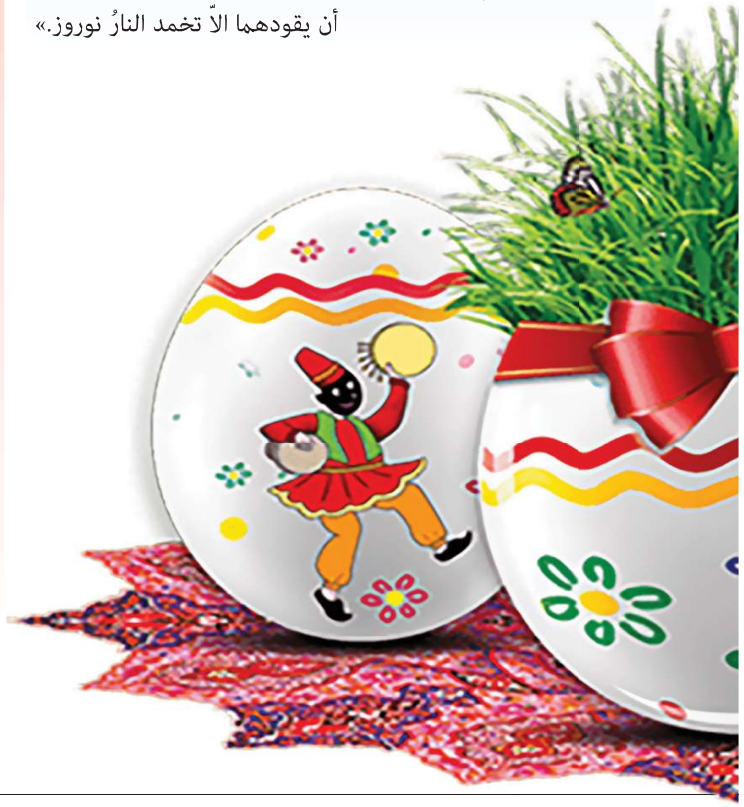

ولكاتب هذه السطور قصيدة نوروزية حيّا فيها طالباته من بنات العرب والكرد والترك وغيرهم متحدثاً عن الربيع وبهجته وطبيعته الجميلة راجيا الخير للجميع وواصفا جمال الطبيعة بأورادها وأزهارها وخضرتها ونسائمها العذبة وأطيارها وداعيا الله سبحانه وتعالى أن ينعم على عباده بالخير والبركة طالبا منه سبحانه وتعالى الهداية وان يشمل بنعمه أهله وجيرانه.

حلوُ الشباب من الدنيا اوائله
بدء الربيع من الأيام نوروز
صباح الخير يا تاراً صباح الخير يا عبلة
عبير النرجس عطر وزى الخلق استبرق
هنيئاً يا ابنة كاوة هنيئا يا ابنة عنتر
فهذا العيد حيانا وذاك النور قد اشرق
وهبت من صبا نجد نسائم نحو اهلينا
ولاقتها بأرض العز شمول غيمها ابرق
وفاح النرجس البرّاق في الرّوض وفي الأفق
وفي نشوة احساس قرير العين يستغرق
وفاضت من عيون الارض انهار بوادينا
وهامت في فضاء الجو طيور الحب تشوق
فاخضرت جبال العز وازدانت سهول
الخير بالخضرة والبهجة كمال الحسن يزوق
وصات البُلبل الصداح الحانا بالحان
وماج الرّوض بالاطيار نعم الصاحب الارفق
يعزم من ابى زينب وعون من أبى سوسنت
خضر مروج الارض زهوا زهرها اشقق
هنيئا يابنة احمد هنيئاً يابنة حيدر
فقد طاب هوى الأوطان عذبا هو يستنشق
نعماك ابنة سعد نعماك ابنة صالح
فقد لاح طريق النصر نور الحق قد أشرق
مرحى حُب فرهاد مرحى منية قيس
عذب عطره الرّيحان فواح هو الزنبق
فزد يأرب بالإنعام خيراتك
على أهلى وخلاّنى وجار الحق
ونوّر بالهدى النّوار قلبى
والأيمان يا ربى فأنت الحق